

قصص الصحابة

مهمة في سبيل الله

(سلمان الفارسى)

[سلمان منا آل البيت]

صدق رسول الله (حديث صحيح)

عاش هذا الرجلُ نِصْفَ حياتِه يبحثُ عن الهُدى والنورِ ..

ثم قضى باقي سنواتِ عُمْرِه يجاهدُ في سبيلِ نُصْرَةِ الدينِ

والقساوسةِ وتأمَّلَ هذا الحديثَ الجديدَ بعقلِه وقلبِه ..

فهذا دينٌ يؤمنُ بأن هناك إلها واحـدًا . وهـو خـالق كـل شيءٍ . خالقُ السمواتِ والأرضِ والبحارِ والبشرِ والدوابِ

ويسافر الفتى من مكانٍ إلى مكانٍ بحثًا عن هذا النبي وعن هذا الدين .. وعن هذه الأرضِ التي تحيطها النخيلُ إلى أن يُبْعَ رقيقًا لرجل من يهودِ بني قريظة في (يثرب)[1].

فلما دَخَلَ الفتى (يثربَ) .. تَلَفَّتَ حوله فوجد النخيلَ يحيطُ بها فَشَعَرَ أنه قد وَجَدَ ضالَّتَه التي كان يبحثُ عنها .. فهذه المعالمُ تشبه المعالمَ التي وصفها الراهبُ الطَّيِّبُ يومًا ما ، لكن .. أين النبيُّ الذي سيأتي باليقينِ الذي يفتشُ عنه الفتى منذُ سنواتٍ ..

ويأذن الله لرسوله بالهجرةِ إلى (يثربَ) التي حملت بمقدمه إليها اسمَ المدينة المنورة ..

ويعرف الفتى بمقدمِ (محمدٍ) ويسأل عنه وعن دينه الجديدِ ويتحقق بعقلِه وقلبِه أنَّ هذا هو النبيُّ الذي قضى نصفَ عمره يبحثُ عنه وينتظره .

فقد كان مؤمنًا أن هذا النبيَّ سيأتي بالحقِّ ..

---

(1) يثرب : هي المدينة المنورة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها .

كل الحقُّ الذي كان يبحثُ عنه ..

الحقُّ الذي تَرَكَ من أجله وطنَه وأهلَه وثروتَه – بل وحريتَه – ورفضَ من أجلِه دينَ آبائه وأجدادِه..

صحيحٌ أنه كان مُوَحِّدًا عندما اعتنق (النصرانيةَ) لكنه كان قَلِقًا دائما ..

يشعرُ أن فى داخله سؤالا آخر لم يسمعْ بعد إجابته ..

كان يعلم أنه يسمعُ هذه الإجابةَ من النبيِّ الجديدِ (محمدٍ) .



ويجلس الفتى بين يدي رسولِ الله ليعلن إسلامَه شاهدًا أنَّه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله ..

هذه هي رحلة (سلمانَ) الفارسيِّ من الكُفْرِ إلى الإيمانِ .. من الشَّكِّ إلى اليقين ..

فهل كان إسلامُ (سلمانَ) هو النهايةُ التي هدأتْ عندها نفسُه واطمأنَّ قلبُه وزال عنه القلقُ والرغبةُ في السعي إلى الحقِّ ..

لا .. لم تكن هذه هي نهاية الرحلة ..

بل كانت بداية لرحلة أخرى أروع وأعظم من الأولى ..

فها هو قد سَعِدَ باطمئنان قلبه ودخولِه في دينِ الإسلامِ .. كما حَظِيَ برفقةِ نبيِّ الله الذي طالَ بحثُه عنــه .. وعليـه الآن أن يدافعَ عن هذا الدينِ الذي آمن به قبل أن يعتنقه ..

وعن الرسولِ الذي صَدَّقه قبل أن يلقاه ..

وعن إخوته المسلمين الذين أحبهم من قبل أن يعرفهم ..

وعن المدينة المنورة – عاصمة الإسلام – هذه المدينة الـتي كان يحلمُ بسكناها قبل أن يدخلها .

كان العام الخامس للهجرة .. وقد أرسـت دولـةُ الإسـلامِ قواعدَها في المدينةِ المنورةِ بينما دخلت في الإسلام عشـراتُ القبائلِ من أنحاء الجزيرةِ العربيةِ .. وأصبـح الديـنُ الجديـدُ يشكِّلُ قوةً متزايدة النمو ..

وبدأت قريـشُ وأحزابُـها مـن الكفـارِ واليـهودِ يخشـون محمدًا وصحبه .. فاجتمعوا فيما يزيد على أربعـةٍ وعشـرين

ألف مقاتلٍ تحت قيادةِ (أبي سفيان بنِ حرب) وزحفــوا إلى المدينةِ حيث كان المسلمون أقل عددًا وعُدَّةً ..

يـا الله .. إنــها مؤامـرةٌ كُـبْرَى هَدَفَـها محـو أثـرِ الإسـلامِ والقضاءِ على رسولِه وأتباعه ..

واجتمع النبيُّ الكريمُ وأصحابُه الكرامُ يتشــاورون وقــد أحســوا بخطورة مـا يحيط بــهم .. فـهم رغـم شــجاعتهم وبسالتهم واستعدادهم للتضحية لا يمكنهم مواجهــة هــذا الجيش الكبير ..

هنا وقف واحدٌ من صحابةِ رســولِ الله واقـترح عليـه أن يتم حفرُ خنلقٍ يغطي الجزءَ المكشوفَ من المدينة .. فالجبــالُ تحيطُ بالمدينةِ من كل نلحيــةٍ .. إلا جزءًا واحـدًا هــو الــذي يشكل خطورةً عليها..

أيُّ فكرةٍ عبقريةٍ هذه .. ومن هو صاحبها ؟

لقد كان وراء هذه الفكرة شــابٌّ مســلمٌ فارســيُّ الأصـل عاش رحلة طويلة من البحث عن الحقيقة فتركَ دينَ أهلــه





(المجوسية) إلى (المسيحية) ثم اعتنق الإسلامَ لـمَّـا رأى فيـه كل الحقيقة التي كان يبحث عنها .

وفي سبيل هذا الهدف تـرك (سـلمانُ) خلفَـه ثـراءَ أبيـه العريضَ وهام في أرضِ الله حتى بِيْعَ في سوق الرقيق ..

لكنه اليوم هنا .. إلى جوار رسولِ الله يقدمُ له ولصحابته المشورةَ والنصيحةَ .. ويقترح فكـرةً رائعـةً وخدعـةً حربيـةً جديدةً لا قِبَل للعرب بها ..

نعم .. فقد كان صاحبُها هـو (سـلمان الفارسـي) الـذي يعـرف مـن فنـون الحـرب في فـارس مـا لا يعرفـه إخوانـه العرب .

واقتنع النبيُّ وبـاقي الصحابـةِ بـالفكرةِ وتسـابقوا على تنفيذها فحفروا الأرض وحطموا الصخورَ وحملوا الأحجار والأتربة .. ولما انتهى العمل شعر المسلمون بالأمـان حيـث يصعب على أعدائهم الوصولُ إليـهم مـهما كـان عددهـم وعُدَّتهم ..

وكـانت مفاجئـةً لقريـشٍ وللأحـزابِ معـها .. ما هـــذا الخندق .. إنه شكل جديد من أشكال الدفاعِ والتحصـينِ لم يعرفوه من قبل.. وكيف يمكن للخيلِ والإبلِ والفرسـانِ أن تعبرَ الخندق لملاقاة المسلمين ومحاربتهم ؟!

وأُسْقِط في يد الكفار ..

وعسكروا في الجهة الأخرى من الخندقِ يناوشون ببعـضِ النبالِ والسهامِ .

في هذا الوقت .. حاول اليهودُ ممارسةَ هوايتهم في الخيانـةِ والوقيعةِ .. وتآمروا لضربِ المسلمين مـن الخلـفِ .. وكـان يهودُ بني قريظةِ الموجودون بالمدينة قد عـاهدوا النبيَّ محمدٍ على نُصرةِ المسلمين .. لكــن المسـلمين كـانوا علـى حَذْرٍ ويقظةٍ فوتت على هؤلاء اليهود فرصة الغدر والخيانة ..

خمس وعشرون ليلـة .. والكفـارُ يرابطـون أمـام الخنـدقِ يناوشونَ ويغامرُ بعضُـهم بـالقفز .. لكنـها كـانت مغـامرة فاشلة ..



ويأتي أمرُ الله .. رياحٌ وعواصفُ تقتلع الخيامَ وتطفئ النارَ وتكفئ القدورَ .. وأمطار وبرق ورعد وأعاصير .. وساد الرعب بين جيش الأحزاب الكافرة .. وعمت الفوضى والهرج وأسلم الجميعُ نفسَه للفرارِ ..

وهكذا .. نصرَ الله عبدَه ..

وأعزَّ جندَه ..

وهزمَ الأحزاب وحده .

وكان النصرُ للمسلمين بأمرِ الله وبفضلِ اقتراحِ (سلمان) ، هذا الرجل الذي استطاع بصدقِ إيمانه وصحيحِ إسلامِه وذكائه وفطنتِه وثقافتِه أن يحتلَّ مكانةً خاصةً في قلبِ رسول الله ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ حتى قال عنه يوما :

"سلمان منا آل البيت" .

أما (علي بن أبي طالب) كَرَّمَ الله وجهَه فكان يناديه (لقمانَ الحكيم) إعجابا بذكائه وحكمتِه ورجاحةِ عقلِه .

ويفتح الله على المسلمين أنحاءَ الأرضِ .. وتعيشُ (المدينةُ المنورةُ) عاصمة الإسلام أيامًا رغلة ورخاء في عهد خلفاءِ رسولِ الله الراشدين ـ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ وتُوَزَّعُ الغنائم والعطايا على المسلمين . فماذا كان نصيب (سليمان الفارسي) من هذه العطايا ؟

كان نصيبه يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم في العام ..

إلا أن النفسَ النقيةَ التقيةَ كانت تزهد كل هذا وتوزعه صدقةً على الفقراءِ وتَرْفُضُ أن تحتفظ لنفسها أو لأسرتها بدرهم واحد ..

فكيف كان إذا يعيش (سلمانُ) ومن أين ينفق على نفسِه وعلى عياله ؟

أصرَّ (سلمان) أن يعيش من عمل يده ..

فماذا كان هذا العمل ؟ .. وهو الذي كان طفلا مدللا وشابًا مترفا يعيشُ في بَحْبُوحَةٍ من العيشِ في ظل ثراء



أبيه .. فلم يحترفْ حرفةً ولم يمتهن مهنةً ولا صنعة ..

فماذا فعل ؟ ..

احترف (سلمانُ الفارسيُّ) جَدْلَ الخُوْصِ وتضفيره يصنع منه بعض فُرُش الأرض أو يصنع منه أوعية تستعمل في حمل الأغراض..

ولنسمعه يحدثنا عن عمل يومه :

(أشتري خوصا بدرهم .. فأعمله ثم أبيعه بثلاثة دراهم .. فأعيد درهما فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بالثالث) .

كم كان (سلمانُ) إنسانًا عظيمًا ..

صافيا زاهدًا ..

كانت نظرتُه إلى الدنيا باعتبارها دارَ عملٍ وكَدٍّ ..

وصدقة وإحسان ..

أما الترف والراحة فهي ليست من شيم المؤمنين الصادقين .

عاده (*) الصحابيُّ (سعد بن أبي وقاص) أثناء مرضه الأخير .. فسأله عهدًا يأخذه عنه فقال : (يا سعد .. اذكر الله عند هَمِّكَ إذا هَمَمْتَ .. وعند حُكمك إذا حكمت .. وعند يديك إذا قَسَمْتَ).

رضوان الله عليك يا من وجدت ضَالَّتك في دين الإسلامِ .. فكنت نموذجًا للمسلمِ الحقِّ .



(*) أي زاره أثناء مرضه .

